الجنوسة
(الجَنْدَر – Gender)

د. ممدوح محمد خسارة
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

بدأ مصطلح (الجَنْدر) يظهر في وثائق الأمم المتحدة في نهايات القرن العشرين، وقد ترجمه بعضهم في منظمة اليونسكو (بالنوع الاجتماعي)[1]، ولكن المنظمة عمدت إلى تعريبه لفظياً فقالت: (الجَنْدَر). وتعني به – بوجه من الوجوه – (المساواة بين الجنسين في اللغة) والخطاب اللغوي، كأن تُستَعمل كلمة (إنسان) بدل رَجُل أو امرأة، و(أهل الأعمال) بدل رجال الأعمال مثلاً. وذلك تبعاً للمساواة بينهما في الحقوق والواجبات والمعاملات وغيرها مما أقرَّته منظمات الأمم المتحدة من مبادئ.

ولكن للمصطلح وجوهاً أخرى خِلافيَّة كإلغاء فكرة الذكورة والأنوثة، وإطلاق تسمية واحدة على الجنسين... وأن الفروق بين الجنسين تقوم على أسس ثقافية واجتماعية وليس على أساس عضوي.

وواضح أن المصطلح العربي الذي وضعه بعضهم، وهو (النوع الاجتماعي)، ليس له علاقة بالمفهوم الذي يرمي إليه مصطلح (الجَنْدر) الأجنبي، بل هو قد خرج عن دلالته الأصليَّة في اللغة الإنكليزية، حيث يعني: «التذكير والتأنيث... تصنيف الكلمة حسب المذكر والمؤنث[2]... جنس الفرد

---

[1] ينظر مثلاً: نحو المساواة بين الجنسين في اللغة، مكتب اليونسكو بالدوحة، ترجمة د. حسام الخطيب.

[2] المورد / معجم إنكليزي عربي GENDER.

ذكراً كان أم أنثى... جنس... المذكَّر والمؤنث». كما أن كلمة (gendre) الفرنسية ليس لها صلة بهذه الدلالة.

أما تعريب هذا المصطلح لفظيًّا إلى (جَنْدر)، فهو استباق وتسرُّع، لأن التعريب اللفظي لا يُلْجأ إليه إلا عند تعذُّر البديل العربي.

وواضح أيضاً أن دلالة كلمة (الجندر) المعجمية في لغتها الأصلية، تختلف عن دلالتها الاستعمالية أو التداولية؛ لأنها لا تعني «التَّذكير والتأنيث، ولا تصنيف الكلمة حسب المذكَّر والمؤنث، ولا الجنس»، بل على العكس من ذلك تعني عدم التَّفريق بين الذكر والأنثى في اللغة وفي العلاقات الاجتماعية والجنسية، وهي الدلالة التي أعطَتها منظمة اليونسكو لهذه الكلمة التي غدت مصطلحاً.

إن التأمُّل في الجذور العربية المعجمية في محاولةٍ لمقاربة هذا المصطلح الجديد يقود الباحث إلى الجذر (جنس). ومما ورد منه في المعاجم العربية القديمة (اللسان والتاج): «الجِنْس: الضَّرْبُ من كل شَيْءٍ، وهو من الناس والطَّيْر وغيرها، والجمع أجناسٌ وجُنوس... والجِنْسُ أعَمُّ من النَّوع... والمُجانَسة: المُشابهة والمُشاكلة... والناسُ جِنْسٌ، والإبل جنس...». ومما ورد منه في المعاجم الحديثة (الوسيط والكبير): «الجنس: الأصل والنَّوْع، وهو أعَمُّ من النوع... وفي علم الأحياء: أَحَدُ الأقسام التصنيفيَّة، أعلى من النوع وأَدْنى من الفصيلة... والجنس يُطْلَق على أحد شَطْري الأحياء المتعضِّية مميَّزاً بالذكورة والأُنوثة».

وهذا يعني أن استعمال كلمة (الجنس) للدلالة على الذُّكورة والأُنوثة بمعنى خاصيَّة اتصاف الحيِّ بصفات الذكر والأنثى استعمالٌ مُحْدَث، لأن الذُّكورة في المعاجم القديمة هي جمع كلمة (ذَكَر)، أمّا الأُنوثة فلم ترد أصلاً في المعاجم القديمة. واستعمال كلمة (الجنس) للدلالة على الذكر والأُنثى من الأحياء، هو من وضع مجمع القاهرة. وأقرب ما يقابله في الإنكليزية والفرنسية كلمة (sex) التي تُرجمت إلى (جنس)، أي مجموعة الصفات الخَلْقيَّة للذكر والأنثى، ومنه (علم الجنس sexologie) «و(جِناسة sexonomie)، التي تعني دراسة الظَّاهرات

والقوانين الحياويَّة المتعلِّقة بتوالد جِنْسَي الذكور والإناث وتوزعهما».

لذا نرى أن أقرب مصطلح عربي يمكن أن يقابل مصطلح (الجندر) هو مصطلح (الجُنُوسة).

ومما يُحتَجُّ به لهذا الاختيار أشياء:

1. إن المعاجم الحديثة أقرَّت كلمتي الذُّكورة والأُنوثة للدلالة على الاتصاف بخاصيَّة الذكر والأنثى، مع أن المعاجم القديمة لم تعط كلمة الذكورة هذه الدلالة، ولم تورد كلمة الأنوثة أصلاً كما قدَّمنا. وهذا الإقرار ضربٌ من التطور الدلالي الذي لا تأباه اللغة. وتشيع الآن – اجتماعياً – كلمة (العُنُوسة) بدلاً من كلمة (العُنُوس) المعجميَّة، ودون إقرار رسميٍّ لها. وفي كلمة (الجُنوسة) قياسٌ على ذَيْنك المشابهَيْن المُقَرَّين.
2. يمكن أن تُعَدَّ كلمة (الجُنُوسة) مصدراً للفعل (جَنُس) على زنة (فَعُل)، فيقال: (جَنُس جُنوسَةً)، كما يقال: «سَهُل سُهولة، ومَلُح مُلوحة وكَدُر كُدُورة». وهذا أي المصدر(فُعولة) من (فَعُل)، مقيسٌ مع وزن (فَعالة) عند ابن مالك وابن هشام[3].
3. إذا كانت المعاجم القديمة لم تورد الفعل (جَنَس ولا جَنُس)، لأن ما ورد فيها هو (جانَسَ الأشياء: شاكل بينها، ويُجانس: يُشاكل ويُشابه»، فإن المعاجم الحديثة ولَّدَت الفعلين (جَنَّس) و(تَجَنَّس)، فقالت: «جَنَّس الأشياء: نسبها إلى أجناس. وتَجَنَّس: اكتسب جنسيَّة غير جنسيَّته» وهو مطاوع (جَنَّس)، أي أَكْسَبَه أو أعطاه جنسيَّة دولة ما.

والظاهر أن المعاجم الحديثة أفادت من قرار (إكمال المادة اللغوية) الذي كان اتَّخذه مجمع القاهرة[4] – وهو من أهم القرارات اللغوية – والذي يُجيز توليد كلمات جديدة من مادة لغوية وردت في المعاجم القديمة، كأنْ نَبْني أفعالاً وأسماء فاعلين ومصادر انطلاقاً من كلمة واحدة ذكرتها المعاجم مثال ذلك، جاء: «الوَقْعة: الغِلافُ، والوَقِيعة: صِمام القارورة». وعلى هذا

---

[3] الأسترآباذي، شرح الشافية الكافية: 2221 .

[4] شذا العرف في فن الصرف 18، والنحو الوافي 2: 389.

القرار أستطيع أن أقول: (وَفَّع) بمعنى غَلَّف أو سَدَّ. و(التَّوْفيع) التغليف أو السَّدّ. وجاء: «سَمَّغه: أطعَمَهُ وجرَّعهُ»، ويمكن إكمال هذه المادة بقولنا: (سَمَغَ: طَعِمَ أو أَكَل... المُسَمِّغ: المُطْعِم والمُجَرِّع... والسَّمْغة: ما يُطْعَمُ ويُجَرَّع). والفلاحون يقولون لأول اللَّبَأ الذي يُحْلب بعد نتاج الماشية: (سَمْغَة)، ويقولون: سَمَّغْنا العِجْل الصغير، أي جَرَّعْناه اللَّبَأ. وجاء في مادة (ستع) كلمة واحدة هي: «المِسْتَع: السَّريع الماضي»، ويمكن أن تكمل هذه المادة وهي صفة، بالأفعال (سَتَع وسَتَّع وساتِع...) إذا اقتضت الضرورة ولا سيما الضرورة المصطلحية.

نقول: الظاهر أن المعاجم الحديثة أفادت من ذلك القرار، فاشتقَّت من الجذر القديم (جنس) فعلين جديدين أو صيغتين جديدتين بدلالتين معاصرتين، فلماذا لا نخطو خطوة أخرى فنبني من الجذر (جنس) فعلاً على زنة (فَعُل) الذي يدلُّ في العربية على خاصيَّة الاتصاف الملازم، كما في (مَلُح وسَهُل وكَدُرَ). وصَوْغُ (فَعُلَ) من (فَعَل) مقيسٌ لهذه الدَّلالة، كقولهم: نَبُه وفَقُهَ وشَرُف[5]. ومما يؤيِّد ما ذهبنا إليه أن المعجم الوسيط والكبير أثبتا صيغة (فَعُل) من (أَنَثَ)، فقالا: «أَنُثَ الرَّجُل أُنوثة وأناثة: لانَ...»، علماً بأن المعاجم القديمة ليس فيها الفعل (أَنُثَ) بضم النون.

4. مما قد يخطر على الذهن مقابلة (الجندر) بكلمة (جِنسانيَّة) على مثال (عَلْمانيَّة)، ولكنها تُدفع بأمور:

أ. بناء (فُعُولَة) أَيْسَر نطقاً وأقلّ حروفاً، وأَدْخَلُ في الأبنية العربية، وهو أطوع تصريفاً، كأن يقال لمن يتَّخذ هذا المبدأ (جُنوسِيّ)، والمصدر الصناعي منه (جُنُوسيَّة).

ب. يدل بناء (فَعلانيّ) – بنسبة الألف والنون والياء – في المعاجم العربية القديمة على صفة العِظَم والضَّخامة، نحو: «رَقْبانيّ لعظيم الرَّقَبة.. وشَعْرانيّ لكثيف الشَّعر»[6]، وليس له دلالة الاتصاف بخاصيَّةٍ ما، كما في حالتنا هذه.

---

[5] مجلة مجمع القاهرة 56/8.

[6] لسان العرب/ رقب وشد

ج. خصَّصَت المعاجم العلمية المصطلحية بناء (فعلانيّ) – أي هذه النسبة – للدلالة على المشابه[7]، فقالت: (غِرواني لما يُشبه الغراء.... وسِمْسِماني لما يُشْبه السِّمْسم...)، ويُفَضَّل إبقاءُ هذه الصيغة لما خُصِّصَتْ له.

د. سوف تلتبس دلالة (جِنْسانيَّة وجِنْساني) حتماً بدلالة (شهوانيَّة وشَهْوانيّ)، التي تعني الرغبة الشديدة في الملَذَّات عامَّة والجنسيَّة خاصة.

5. مما قد يُقترح مقابلة (الجندر) بمصطلح (الجِنْسَوِيَّة). ويدفع هذا الاقتراح أن مصطلح (الجنسوية) قد استعمل في منشورات الأمم المتحدة بمعنى: «طريقة تَصَرُّف تُفَضِّلُ جنساً على آخر». ومما جاء فيها: «فالجنسوية تنطوي على ممارسة أنواع مختلفة من التمييز المعتمد على نوعٍ من الجنس، وتشبه في ذلك مفهوم العنصرية»[8] وهو عكس الدلالة التي يرمى إليها مصطلح (الجندر).

6. إذا أَقرَرْنا فعل (جَنُس) للدلالة على الاتصاف بالجنس الذي هو النوع الإنسانيّ مطلقاً، دون اعتبار للتذكير والتأنيث، وهذا هو معناه المعجمي القديم كما سبق بأنه: «الأَصْل... والضَّرْب من الناس»، لأن الناس وهم جنس ينقسمون نوعين ذكراً وأنثى، فإن نِسْبَتَنا الشَّيْء إلى الجنس تعني نسبتَنا إياه إلى الذكر والأنثى معاً ودون تمييز. وعلى هذا تصبح كلمة (الجنُوسة) تعني انتساب الفرد إلى الجنس الإنساني مطلقاً مجرَّداً من الذكورة والأنوثة، وتعني التعبير اللغوي عن ذلك بما يُشْعر بالمساواة وعدم التَّحيُّز، وهو المقصود من مصطلح (الجندر)، كما ترمي إليه منظمة اليونسكو. والله العليم.

ملاحظة: لا يعني اقتراح هذا المصطلح واعتماده لغوياً أيَّ موقف فكريّ أو مبدئي حول مضمونه الثقافي.

---

[7] مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية 78– 79.

[8] ينظر: مشيل أندريه: (لا للنماذج في أدوار الرجل والمرأة) منشورات اليونسكو، بيروت، 1986، ص11– 12، عن آمنة عطية (دراسة تحليلية لصورة المرأة والرجل في كتب اللغة العربية في الجمهورية العربية السورية، ص30). رسالة جامعية.